[245] يا هذا هو ذا أموت فاحتل ما تبتاع به عسلا ودقيقا وشيرجا وإلا مت. فبكيت وحزنت وخرجت على وجهى وجئت لاغرق في الدجلة، فذكرت حلاوة الروح والنفس وخوف العقاب في الآخرة، ثم خرجت على وجهى إلى النهروان، وما زلت أمشى من قرية إلى قرية حتى بلغت خراسان فصادفت من عرفني، فتصرفت في صناعتي ورزقني ا جلت عظمته، فأثريت واتسعت حالى وكتبت ستة وستين كتابا لاعرف خبر منزلي فلم يعد إلى الجواب فلم أشك أن الجارية قد ماتت فقطعت المكاتبة فتراخت السنون حتى حصل معى ما قيمته عشرون ألف دينار. فقلت: قد صارت لى نعمة فلو رجعت إلى وطنى، فابتعت بالمال كله متاعا من خراسان وأقبلت أريد العراق من طريق فارس والاهواز فلما حصلت بينهما خرج على القافلة اللصوص فأخذوا جميع ما فيها ونجوت بثيابي وعدت فقيرا كما خرجت من بغداد. فدخلت الاهواز وبقيت فيها متحيرا حتى كشفت خبرى لبعض أهلها ممن لا أعرفه فأعطاني ما تحملت به إلى واسط، ونفدت نفقتى فمشيت إلى هذا الموضع وقد كدت أتلف فاستغثت بك، ولى منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة. فعجبت من محنته ورفقت به وقلت له: إذا صرنا إلى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر إلى فإنى آمر بتصريفك فيما يصلح لمثلك مما تعيش. فشكر ودعا لى، ودخلت بغداد ومضت على ذلك مدة نسيته فيها. فبينما أنا يوما قد ركبت أريد دار المأمون، فإذا بالشيخ على بابى راكبا بغلا فارها بمركب محلى ثقيل وغلامين أسودين بين يديه كأنهما مماليكه، وثياب حسنة فلما رأيته رحبت به وقلت له ما الخبر ؟ فقال: طويل. فقلت عد إلى فلما كان من الغد جاءني فقلت له. عرفني خبرك، فقد سررت بحسن ظاهر حالك، فقال: إنى لما صعدت من زلالك قصدت دارى فوجدت حائطها الذى يلى الطريق كما خلفت غير أن باب الدهليز مجلو نظيف وعليه دكتان وبغال مع شاكرية. فقلت: إنا ماتت جاريتي ويملك الدار بعض الجيران فباعها لرجل من أصحاب السلطان فقدمت على رجل بقال كنت أعرفه في المحلة فإذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون من فلان البقال ؟ فقال: ابنه. فقلت: ومتى مات أبوك ؟ قال منذ عشرين